سلسلة مطويات شبكة بينونة

المؤمن القوي

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE
@Baynoonanet

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القوي العزيز الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمّدٍ من بعثه الله بكل خير للناس أجمعين، اللهم صلّ عليه وعلى آله صحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ضمن سلسلة دروس نسائم الإيمان والقيم والأخلاق أود أن أتعرف معكم اليوم على أنّ قوة الإنسان الحقيقية ليست في قوة جسده وبدنه وإن كانت صحته مطلوبة لكن القوة الحقيقية في إيمان العبد، فكم من قوي في جسده مقهور أمام شهواته، ومصروع تحت ملذاته، مكسور على يد شيطانه، ضعيف الهمة، لا يفكر إلا في أدنى الأمور، أهدافه ليست سامية، وأفكاره ضعيفة واهية، فهو في الحقيقة وإن كان قويًا في جسده إلا أنه معاقٌ في قلبه معاق عن عمل الخير ونفع المجتمع ببدنه وماله، بطيء في طريقه إلى ربه مع أنه قوي في جسده، وقد ضرب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنا مثلًا، وذكر لنا صفة من صفات المنافقين أنّ الإنسان إذا رآهم أعجب بأجسادهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]، وفي المقابل كم من ضعيف في جسده لكنه عالٍ في همته، مجتهد في طاعة ربه، سريع إلى مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، همه نفع مجتمعه، ما عنده من مال يبذله، وما عنده من خير يسعى إلى تحصيله ونفع الناس به، وذلك بسبب قوة إيمانه، فأبو بكر لم يكن الإزار ليثبت على وسطه ولكنه أفضل الأمة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وأكثرهم بذلاً وإيمانًا، ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت ساقاه دقيقتان لكنها أثقل في الميزان من جبل أحد[1]؛ لذلك يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ» ليس الشديد الذي يصرع الآخر في قوة جسده، إذًا فمن هو الشديد في الحقيقة؟ قال: «إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»[2]، هنا القوة الحقيقية، فإذا اجتمعت قوة البدن مع قوة الإيمان فخير على خير كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في طالوت: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، لكن الخطر أن ينفرد بقوة الجسد وتذهب عنه القوة الحقيقية قوة القلب، وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن محبة الله لقوي الإيمان، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»[3]، فالمؤمن القوي أحب إلى الله، وهو أفضل وهو خير لنفسه ولمجتمعه، قوي في قلبه، تجده صابرًا متوكلاً على الله، راجيًا ما عند الله، قنوعًا خائفًا من الله، محبًا لما يحبه الله، تراه مجتهدًا في طاعة الله، حريصًا على قراءة كلام الله، متمسكًا بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحب الخير لعباد الله، أين تجد الفضائل تجده على أبوابها، وأين تكون المنافع فهو من أول المجتهدين فيها.

وقد ضرب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنا قصصًا كثيرة جاءت في القرآن، قصصًا تقوي هذه الحقيقة، ومن تلك القصص المفيدة الجميلة قصة ماشطة فرعون، لما أسري بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتته ريح طيبة، فقال لجبريل: «مَا هَذِهِ

(١) كما في مسند أحمد (٣٩٩١).
(٢) رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).
(٣) رواه مسلم (٢٦٦٤).

الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟» انظر إلى هذه المنزلة التي وصلتها تلك الماشطة، عملها ماشطة لكن وجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طيب رائحتها لما أسري به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال جبريل: «بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتِ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ. قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا، فَقَالَ: يَا فُلانَةُ، وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ -بكل ثبات وقوة-: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَتَدْفِنَنَا. قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الحَقِّ» تأملوا القوة والثبات والصبر.

قَالَ: «فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، كَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ،-لم ترمِ بنفسها من أجل ذلك الصبي رحمة به، وهذه هي رحمة الأم، فلما كانت بهذه القوة وهذا الثبات أنطق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذلك الرضيع- قَالَ: يَا أُمَّهْ، اقْتَحِمِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ»[٤].

فمن خلال هذه القصة يعرف الإنسان أن قوة الإنسان الحقيقية في إيمانه، فإنّ سقي شجرة الإيمان يجعل الإنسان ثابتًا عالي البنيان، معطيًا للثمار، وإنما تستمد تلك القوة من الله، ويسقيها العبد بالعلم بالله

(٤) رواه أحمد (٢٨٢١).

وبشرع الله، فكلما كان العبد مع الله وعلى شرع الله فهو قوي بإذن الله، وكلما ابتعد العبد عن الله وعن شرع الله دبَّ فيه الضعف على قدر بعده عن الله حتى يكون من أضعف المخلوقات.

فاستمداد القوة الإيمانية يكون بطلب العلم الشرعي وخصوصًا العقائد وبالعمل بدين الله واتباع سنة رسول الله ﷺ والقراءة في سيرته وسيرة الصالحين، ومن أسباب القوة الإيمانية ذكر الله قال ابن القيم عند قوله تعالى:« ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وفي القراءة الأخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ﴾ فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً وأكثر ذكراً كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نقص نقص، ذكراً بذكر ونسياناً بنسيان» [٥] وأخبر رحمه الله بما شاهده من أثر الذكر على قوة شيخ الإسلام ابن تيمة فقال:«الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابه أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعه وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيماً، وقد علم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعلياً رضي الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذوا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين لما سألته الخادم وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلمها ذلك وقال: إنه خير لكما

(٥) الوابل الصيب (ص١٧٣).

من خادم فقيل أن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه مغنيه عن خادم» [٦].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يقوي إيماننا، وأن يزيدنا ثباتًا، وأن يمنّ علينا بالأمن والأمان، وأن يبارك لي ولكم في الأولاد والمال، وأسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يحفظ ولاة أمرنا، ويسدد خطاهم لكل خير، وأسأله أن يحفظ بلادنا ويرفع عنها وعن بلاد المسلمين هذا الوباء.

وصلى الله على نبيّنا محمّدٍ.

(٦) الوابل الصيب (١٨٥-١٨٦).